

دليل المعلم/ المعلمة والأسرة في رعاية الأطفال الموهوبين
تأليف: الدكتورة لويس بورتر
مراجعة وعرض: تيسير صبحي*

**Gifted Young Children: A Guide For Teachers
And Parents
LOUISE PORTER**

يهدف هذا الكتاب إلى تسليط الضوء على التحديات التي تواجه تعليم الأطفال الموهوبين. وقد قامت الدكتورة لويس بورتر بتطوير مادة الكتاب، وضمنته ثلاثة أبعاد رئيسية، وهي: البعد النظري الذي يوفر الأرضية العلمية والتربوية للقاريء العادي والمتخصص، وتتيح له فرصة الامام بأحدث التطورات التي طرأت على هذا الميدان، كما وتساعده في التعرف إلى المصادر المتاحة التي يمكن الاستفادة منها في تعميق الفهم حول عناصر البعد النظري كما تراه بورتر؛ وهي لا تغفل، أيضاً، طرح الأسئلة والاستفسارات التي ما زالت مطروحة والتي قد تساعد في توجيه البحوث باتجاهات تخدم حركة تطور هذا الميدان.

أما البعد الثاني من أبعاد هذا الكتاب فقد تجسد في المادة العلمية التربوية الموجهة للمعلمين والمعلمات الذين يعملون مع الطلبة الموهوبين والمبدعين في مراحل عمرية مبكرة؛ فالكتاب يساعد هؤلاء في التعرف إلى أساليب وطرائق وأدوات الكشف عن الطلبة الموهوبين والمبدعين في مراحل عمرية مبكرة؛ كما يوفر لهم توجيهات على درجة عالية من الأهمية بخصوص الاعتبارات التربوية والبرامج التي يمكن تطويرها لتلبية الاحتياجات الخاصة بالطلبة الموهوبين والمبدعين. ونلاحظ في هذا السياق مدى الانسجام والتكامل بين البعد الأول والبعد الثاني؛ حيث يمهّد التنظير للممارسة التربوية العملية المخططة والمسؤولة. لذا، ينحى هذا الكتاب المنحى العملي الذي يبنى على أساس التنظير الأصيل الذي يأخذ في الاعتبار خصوصية المجتمع الذي تمتلئه هذه الكاتبة من ناحية، والتوافق مع الاتجاهات العالمية في رعاية الأطفال الموهوبين والمبدعين من ناحية ثانية.

* مدرس بقسم الصحة النفسية - كلية التربية - جامعة قطر.

مراجعات الكتب
والإصدارات الحديثة

ويتضمن البعد الثالث مادة علمية تربوية موجهة إلى أولياء الأمور، وتبرز دور الأهل في عملية القياس والتشخيص للكشف عن الطلبة الموهوبين والمبدعين، ولم تغفل بورتر دور الأهل في عملية التشخيص من ناحية، وتطوير البرامج التي تلبي احتياجات ابنائهم وبناتهم من ناحية ثانية، والمشاركة في تنفيذ تلك البرامج من ناحية ثالثة، والمشاركة في تقييما من ناحية رابعة. وهي تؤكد على دور الأهل وترى أن نجاح برامج الموهوبين والمبدعين لا يتحقق من دون تعاون أطراف العملية التعليمية: المدرسة، والأسرة، والمجتمع بكافة مؤسساته.

ويشكل هذا الكتاب إضافة كمّية ونوعية إلى الأدب التربوي الذي يندرج تحت مظلة ميدان الموهوبية والإبداع. كما أنه يشكل خلاصة تجارب ميدانية عملية لمؤلفة الكتاب، وهو يجسد واقع العناية بالموهوبين والمبدعين في أستراليا. وخلاصة القول في هذا السياق أن كتاب (أو دليل) لويس بورتر يوفر ما يلي:

- الاستشارات التربوية العملية والأفكار المبدعة لتنمية الموهوبين والمبدعين، وتوفير البرامج لهذه الفئة من الطلبة التي لم تحظ بعد بالاهتمام الكافي؛
- الاستراتيجيات المناسبة التي يمكن توظيفها لمساعدة الطلبة الموهوبين والمبدعين في تحقيق مستوى عالٍ من التكيف النفسي والاجتماعي؛
- طرائق لمساعدة الطلبة الموهوبين والمبدعين في تحقيق الذات وبناء العلاقات الاجتماعية، وصياغة الدور الاجتماعي المتوقع منه القيام به مستقبلاً؛
- توجيهات وإرشادات بخصوص كيفية التعامل مع الطلبة الموهوبين والمبدعين، ومساعدة الأهل في محاولاتهم الرامية إلى تلبية احتياجاتهم الخاصة؛
- استراتيجيات تربية وتعليم الطلبة الموهوبين والمبدعين في مراحل عمرية مبكرة.

وتكمن قوة هذا الكتاب في أنه يعالج الأبعاد التطورية والاحتياجات الخاصة للطلبة الموهوبين والمبدعين، والتي تشمل: الاحتياجات الانفعالية، والاحتياجات الاجتماعية، والاحتياجات المعرفية. ويتألف هذا الكتاب من الفصول التالية:

الفصل الأول: مسوغات العناية بالأطفال الموهوبين؛

الفصل الثاني: معنى الموهوبية وتعريفات المفهوم؛

الفصل الثالث: نماذج الموهبة والإبداع؛

الفصل الرابع: الخصائص النمائية والمهارات اللازمة للأطفال؛

مراجعات الكتب
والإصدارات الحديثة

- الفصل الخامس: تشخيص الطلبة الموهوبين في مراحل عمرية مبكرة؛
 الفصل السادس: التكيف الانفعالي؛
 الفصل السابع: تحقيق الذات؛
 الفصل الثامن: مواجهة الضغوط واحتمالات الفشل؛
 الفصل التاسع: تلبية الاحتياجات الاجتماعية للأطفال الموهوبين؛
 الفصل العاشر: تلبية الاحتياجات التعليمية للأطفال الموهوبين؛
 الفصل الحادي عشر: الاعتبارات السلوكية في تعليم الأطفال الموهوبين؛
 الفصل الثاني عشر: الفئات التي لم تحظ ببرامج خاصة بالموهوبين والمبدعين؛
 الفصل الثالث عشر: التوجيه والإرشاد للأطفال الموهوبين وأسره؛
 الفصل الرابع عشر: صياغة سياسة عامة متقدمة لتعليم أفراد هذه الفئة.

كما ويشتمل الكتاب على قائمة المراجع، وقائمة المصادر والقراءات المساعدة الإضافية، وأسئلة المناقشة، وقوائم الرصد المختلفة التي أشارت إليها المؤلفة في متن الكتاب، إضافة إلى الأدبيات ذات العلاقة بمقاييس الذكاء وتطبيقاتها ودورها في تحديد نسبة الذكاء في إطار عملية التشخيص متعددة المعايير.

ويعالج الفصل الأول، كما أشرنا أعلاه، مسوغات العناية بالأطفال الموهوبين، وتلخصها لويس بورتير في: مسوغات إنسانية تتصل بضرورة الاهتمام بالأطفال الموهوبين، والتعرف إلى إمكاناتهم الكامنة في مراحل عمرية مبكرة لا تتعدى مستوى مرحلة الصف الثالث الابتدائي. فالمسوغات الإنسانية تشير إلى أن التنشئة الاجتماعية التي تعترف بالفروقات الفردية، وحق الحصول على التعليم والرعاية بما ينسجم مع قدرات كل فرد، هي حقوق إنسانية يكفلها المجتمع ومؤسساته المختلفة. أما المسوغات العملية الاقتصادية فهي تشير إلى أن الاستثمار في تلك الطاقات بشكل غاية الاستثمار، ويساعد في تحقيق التقدم والنماء، وحل مشكلات المجتمع، وتلبية احتياجاته المختلفة، فهدف تربية الموهوبين والمبدعين هو الحيلولة دون هدر طاقات هذه الفئة بوصفها ثروة وطنية. أما المسوغات التربوية فهي تتلخص في: التعرف إلى مفهومات معرفية جديدة، وتجريب طرائق القياس والتشخيص وأدواته المختلفة، وتطوير مواد تعليمية رفيعة المستوى، والمساهمة في تطوير طرائق التدريس والتفاعل الصفّي، وتوفير خبرات تعليمية تساعد في تعليم مهارات قادرة على مواجهة تحديات الحاضر والمستقبل. أما المسوغات العلمية فهي تشير إلى فتوحات معرفية مهمة ساهمت في التعرف إلى بنية الدماغ، ومعرفة آلية التفكير، وطرورت مفاهيم عديدة، وفتحت الأبواب على مصاريحها في مجالات بحثية عديدة؛ حيث يشهد هذا الميدان حركة بحثية نشطة.

وناقشت لويس بورتر التطورات التي طرأت على مفهوم الموهبة ومفهوم الإبداع، وبينت المراحل التاريخية المختلفة التي مرّ بها تطور كل مفهوم، وانتهت إلى مفاهيم تبلورت في نهاية السبعينيات، وأبرزت أهمية تبني تعريفات عملية تتطوي على إشارات واضحة ومحددة لعناصر عملية التشخيص ومراحلها المختلفة. وقد حظي أنموذج العالم جوزيف رينزولي باهتمام كبير في هذا الكتاب. ولم تغفل بورتر تطبيق مهارة المقارنة والمباينة بين النماذج المختلفة في محاولة منها لإبراز عناصر مفهوم الموهوبية، وتمييز هذا المفهوم عن مفهوم الإبداع، وإبراز العناصر التي يتشكل منها كلا المفهومين. لذا، قامت بورتر بمناقشة أعمال رينزولي، وجانييه، وتانباوم، وروبرت ستيرنبرغ، ولوبارت.

وفي إطار بحثها عن الأنموذج الأمثل لعملية تشخيص الطلبة الموهوبين والمبدعين، قامت بورتر بمناقشة قوائم السمات، وأبرزت دورها في عملية التشخيص، ولم تغفل تسليط الضوء على مقاييس الذكاء ومقاييس الإبداع واختبارات التحصيل. وخلصت القول في هذا السياق أن بورتر تميل نحو استخدام طرائق تشخيص متعددة المعايير بسبب ما تمتاز به على غيرها من ميزات.

ونلاحظ، بصورة عامة، أن الأدبيات التربوية تؤكد على أهمية التشخيص المبكر الهادف إلى توفير البرامج التي تساعد في تلبية الاحتياجات الخاصة بالطلبة الموهوبين والمبدعين، انطلاقاً من المسوغات المذكورة أعلاه.

ويعالج الكتاب المشكلات والضغوط الاجتماعية والنفسية والانفعالية التي تواجه هذه الفئة من الطلبة، وترى بورتر أن حدثتها بالنسبة للطلبة الموهوبين أعلى من حدة تأثيرها في حياة العاديين. وعلى الرغم من القدرات العقلية التي يمتلكها الموهوب والمهارات والاستراتيجيات التي يستطيع توظيفها في سبيل تلبية الاحتياجات النفسية والانفعالية والاجتماعية من ناحية، ومواجهة الضغوطات المختلفة من ناحية ثانية، إلا أنه بحاجة إلى برامج ومساعدات خاصة تمكنه من التغلب على المشكلات والضغوطات والآثار المترتبة على مواقف الفشل. ونشير هنا إلى إسهامات روبرت ستيرنبرغ حول العلاقة بين البيئة (بوصفها حاضنة) وبين الموهوب والمبدع؛ حيث صنف نتائج تلك العلاقة في ثلاثة بدائل، وهي: الانسحاب من البيئة الحالية والبحث عن بيئة أخرى؛ أو محاولة التكيف مع متطلبات البيئة الحالية من دون أي فعل أو مقاومة؛ أو رفض البيئة الحالية ومحاولة تغيير عناصرها وشروط ومتطلبات العيش فيها.

كما ويعالج الكتاب مسألة على درجة عالية من الأهمية، وهي: "مفهوم الذات لدى الطفل الموهوب". وترى بورتر أن مفهوم الذات إن هو إلا مقارنة بين مفهومنا عن أنفسنا وبين ما نحمله من معايير وما نملكه من قدرات. وبصورة عامة فإن الطفل الموهوب لديه مفهوم إيجابي نحو الذات، وهو ينظر نظرة إيجابية نحو العالم والحياة الأكاديمية. وقد يتأثر مفهوم الذات بصورة سلبية في بعض الأوساط والظروف الاجتماعية. ويبرز الكتاب أهمية توفير البرامج والفرص التربوية التي تساعد في اكتساب مفهوم إيجابي نحو الذات وامتلاك معايير وقيم رفيعة المستوى ومثل واقعية.

وحظي موضوع الإرشاد والتوجيه بعناية خاصة في هذا الكتاب، حيث يتوقف نجاح البرامج الأكاديمية في تحقيق أهدافها وغاياتها على نجاح برامج الإرشاد والتوجيه المطورة بصورة خاصة للطلبة الموهوبين والمبدعين وأسرهم. فهذه البرامج وجدت أصلاً لمساعدتهم في التكيف مع البيئات المختلفة، والتغلب على مشكلاتهم الانفعالية، والتمتع بمستوى عال من الصحة النفسية، وتشكيل اتجاهات إيجابية، وامتلاك مهارات واستراتيجيات لمواجهة الضغوط المختلفة. ويحتاج أفراد هذه الفئة إلى برامج الإرشاد النفسي والأكاديمي والمهني، في حين تحتاج أسرهم إلى الإرشاد الأسري.

وتقدم بورتر تصورها الخاص بنظرية السلوك المعرفي، وهي تؤكد على:

- (١) ضرورة وأهمية الارتقاء بمستوى مفهوم الذات؛
- (٢) غرس الشعور في نفوس الموهوبين بأهمية العمل المتميز والخروج عن المألوف في الأداء ونواتجه؛
- (٣) تربية الموهوبين وتعزيز ثقتهم بقدراتهم وإمكاناتهم، والقيام بسلوكات تترجم هذه القدرات في صورة أداءات رفيعة المستوى تتبلور في نتائج قيمة؛
- (٤) تربية الموهوبين على الاستفادة القصوى من المعارف والخبرات والمهارات المكتسبة ووضعها موضع التطبيق وتوظيفها في خدمة البشرية؛
- (٥) الارتقاء بمستوى الدفاعية بوصفها محرك الفعل والسلوك.

ويختتم هذا الكتاب فصوله بالحديث عن السياسة التي يمكن صياغتها بهدف مساعدة أطراف العملية التعليمية التعلمية في أداء وظائفها وتحقيق أهدافها وغاياتها. فالسياسة التي نتحدث عنها لويس بورتر تشير إلى فلسفة المجتمع وتوجهاته بالنسبة لتعليم الموهوبين والمبدعين، والتشريعات التي تنظم الخدمات التي توفرها مؤسسات المجتمع لهذه الفئة من الطلبة. لذا، فإن وجود سياسة تربوية خاصة بالطلبة الموهوبين والمبدعين

يساعد في تحديد الخطوط العريضة للخدمات التي سيجري توفيرها والفاسفة التي تتبني عليها تلك الخدمات وطبيعة فهم المجتمع لهذا الميدان ومفهوماته المختلفة. كما أن السياسة التربوية هذه تحدد المسؤوليات والواجبات المنوطة بكل جهة من الجهات المسؤولة عن التنفيذ.

بقي أن نشير إلى أن هذه المراجعة إن هي إلا محاولة للتعريف بهذا الإنجاز التربوي، وهي لا تغني عن القراءة العميقة والمتأنية لفصول الكتاب، ومحاولة الاستفادة منها في تجاربنا.

Gifted Young Children: A Guide For Teachers And Parents

LOUISE PORTER

Buckingham, UK.: Open University Press. 1999. 352 Pages
£15.99, ISBN: 0-335-20552-6 (paperback)